المحاضرة الاولى / علم الكلام ـ المرحلة الثانية

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

أسماء علم أصول الدين وأسباب تسميته:

اختلف العلماء في تسمية هذا العلم، فوردت له عدة أسماء، كل منها يعكس جانبًا معينًا من موضوعه ومنهجه، ومن أبرز هذه الأسماء:

1. الفقه الأكبر: أُطلق عليه هذا الاسم الإمام أبو حنيفة، كما ورد في كتابه "الفقه الأكبر"، وسبب التسمية أن هذا العلم يعالج أصول العقيدة، التي هي أساس الدين، بخلاف الفقه في الفروع الذي يُعنى بالأحكام العملية، لذا فإن الفقه في هذا المقام أعظم من غيره.

2. علم النظر والاستدلال: سُمِّي بهذا الاسم لأنه يقوم على إعمال الفكر العقلي، والاستدلال المنطقي لإثبات العقائد والرد على الشبهات، من خلال نصوص الشريعة وأدلتها العقلية.

3. علم التوحيد والصفات: جاءت هذه التسمية نتيجة تركيز هذا العلم على توحيد الله سبحانه وتعالى، وما يثبت له من صفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، وهي من أبرز موضوعاته.

4. علم العقائد: سُمِّي بذلك لأنه يتناول مسائل العقيدة الإسلامية، بإثباتها ودفع الشبهات عنها، والرد على العقائد المنحرفة، والأفكار التي تناقض العقيدة الصحيحة.

5. علم الكلام: اشتهر هذا الاسم بين العلماء لعدة أسباب، أهمها:

• أن من أبرز القضايا التي حصل فيها نزاع بين المسلمين هي "كلام الله تعالى" هل هو قديم أم مخلوق؟ وقد دارت مناقشات واسعة حول هذه المسألة في القرون الأولى.

• أن أصحاب هذا العلم، وهم المتكلمون، ناقشوا المسائل الاعتقادية بلغة الحوار والجدل، وقد استخدموا المنطق العقلي للرد على المخالفين.

• لأن أصول هذا العلم تقوم على مناقشة المسائل الكبرى في العقيدة، التي سكت عنها الصحابة أو لم يتوسعوا فيها، فجاء المتكلمون لتفصيلها والرد على الشبهات.

6. أصول الدين: وهو الاسم الأشهر لهذا العلم؛ لأنه يعالج أصول المعرفة الدينية، التي تُبنى عليها بقية العلوم، مثل أصول الاعتقاد، والإيمان، والمعرفة بالله، وأصول السلوك والأخلاق. كما أن هذا الاسم يميز العلم عن الفروع الفقهية والعملية، ويركز على بناء التصورات والمعتقدات، ولذلك اختار المؤلف هذا العنوان لكتابه؛ لما فيه من دقة ودلالة على محتوى العلم وموضوعاته

المحاضرة الثانية / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

تعريف علم العقيدة (علم الكلام) عند العلماء

اختلف العلماء في تعريف علم العقيدة، أو ما يُعرف بعلم الكلام، بحسب زاوية النظر إلى موضوعه ووظيفته، مما أدى إلى تعدد التعاريف، ومن أبرز هذه التعاريف:

1. عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ)

عرّف علم الكلام بأنه: علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُّبَه".

–والمقصود بالعقائد الدينية: المسائل التي يجب الإيمان بها. وقد خصه بهذا الاسم بالنظر إلى غايته وهي إثبات العقيدة والدفاع عنها.

2. التهانوي (ت ١١٥٨هـ)

عرّفه بقوله: هو العلم الذي يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه".

–ويلاحظ أنه أضاف قيدًا مهمًا، وهو توجيه العلم نحو "الغير"، فيكون غرضه الجدلي وإقناع الخصم.

3. محمد عبده (ت ١٩٠٥م)

قال في تعريفه: "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه، وعن الرسل عليهم السلام، وما يجب لهم وما يستحيل، وما يجوز".

–ويُلاحظ أنه ركّز على موضوع علم العقيدة من حيث البحث في صفات الله تعالى والنبوة، فجعل موضوعه ومحتواه الأساس لتعريفه.

4. فريد وجدي (ت ١٩٥٢م)

عرفه بقوله: "هو العلم الذي يشتمل على إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية، ونصرتها ودفع الزيف عنها".

–وقد جمع في تعريفه بين الوظيفة الدفاعية لعقائد الإسلام، وبين استعمال الأدلة العقلية، وهي سِمَة بارزة في علم الكلام.

—

ملاحظات على التعاريف:

- يتضح من مجمل التعاريف أن موضوع علم العقيدة هو العقائد الإسلامية، مثل التوحيد، والنبوة، والمعاد.
- أما وظيفته فهي: إثبات العقائد والرد على المخالفين، ودفع الشبهات.
- ومنهجه يقوم على الاستدلال العقلي مع الاستئناس بالنقل (الوحي)

المحاضرة الثالثة/ علم الكلام ـ المرحلة الثانية ـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

أدلة وجود الله

استدل العلماء على وجود الله بأدلة كثيرة منها

دليل الحدوث

بناء دليل المتكلمين على إثبات وجود الله تعالى

استدل المتكلمون على وجود الله تعالى بدليل عقلي مركب من مقدمتين تؤديان إلى نتيجة ضرورية، وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة الأولى: العالم حادث.
- المقدمة الثانية: كل حادث لا بد له من مُحدِث.
- النتيجة: إذن، لا بد للعالَم من مُحدِث يُرجّح وجوده على العدم، وهو الله سبحانه وتعالى.

ولإثبات صحة هذه النتيجة، يلزم أولًا إقامة البرهان على صحة كلٍّ من المقدمتين.

أولًا: إثبات أن العالم حادث

وقد استدل المتكلمون على حدوث العالم بدليلين رئيسيين:

الدليل الأول:

- العالم متغير.
- وكل متغير حادث.
- إذًا، العالم حادث.

توضيح:

المقصود بالعالم هنا: كل ما سوى الله سبحانه وتعالى. وسُمي حادثًا لأنه ظهر بعد أن لم يكن، أي أنه كان معدومًا ثم وُجد لعِلّة أوجدته.

الدليل الثاني:

- العالم مركّب من جواهر وأعراض.
- والجواهر والأعراض كلّها متغيرة.
- وكل متغير حادث.
- إذًا، العالم حادث.

تفصيل ذلك:

الأعراض حادثة، ويدل على ذلك ما يلي:

1. أننا نشاهد تغيرها باستمرار؛ فهي تنتقل من الوجود إلى العدم، ومن العدم إلى الوجود، ومن الحركة إلى السكون، والعكس، وهذا التغير يدل على الحدوث.
2. الأعراض تحتاج إلى مخصّص يحدد وقت حدوثها، فلا يمكن أن تحدث في وقت دون آخر إلا بمرجّح، وإلا لزم الترجيح بلا مرجّح، وهو محال عقلاً.
3. الأعراض لا تقوم بنفسها، بل تحتاج إلى جسم تقوم به، فهي مفتقرة في وجودها إلى غيرها.

أما الجواهر فهي أيضًا حادثة، لأنها لا تنفكّ عن الأعراض، بل تلازمها دائمًا، كالحركة والسكون واللون. وما دامت الأعراض حادثة، فإن ما لا ينفك عنها يكون حادثًا بالضرورة، لأن ملازم الحادث حادث.

وبناءً على ما سبق، يثبت أن الجواهر والأعراض حادثة، وبالتالي يكون العالم الذي يتكوّن منهما حادثًا كذلك، وهو المطلوب لإثبات المقدمة الأولى

المحاضرة الرابعة / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

الصفات السلبية

الصفات السلبية هي الصفات التي تنفي عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله وكماله، وقد عدَّها العلماء خمسة، وهي:

1. القِدَم
2. البقاء
3. المخالفة للحوادث
4. القيام بالنفس
5. الوحدانية.

ولا يُراد بوصفها "سلبية" أنها مفقودة أو منفية عن الله، فإن ذلك يوهم نقصًا، بل المقصود أنها تسلب عن الله تعالى ما لا يليق به من صفات النقص، فمثلاً:

- القدم: ينفي عن الله تعالى بداية الوجود.
- البقاء: ينفي عنه نهاية الوجود.
- المخالفة للحوادث: تنفي مماثلته للمخلوقات.
- القيام بالنفس: تنفي افتقاره لغيره.
- الوحدانية: تنفي التعدد في ذاته وصفاته وأفعاله.

وبذلك فإن كل صفة من هذه الصفات تنفي معنى لا يليق بالله عز وجل، وتثبت له الكمال والتنزه عن النقص. وقد أُجمِع على هذه الصفات بين العلماء، ولم يقع فيها خلاف، لأنها من أصول التوحيد وأمهات الصفات السلبية.

ويُلاحظ أن هذه الخمسة ليست حصرًا لكل الصفات السلبية، بل هناك صفات أخرى تدخل ضمن هذا الباب، كتنزهه عن الولد، والزوجة، والمكان، والجهة، والتغير، والتركيب، وغيرها. وإنما اقتُصر على الخمس لأنها الأساس الذي تتفرع عنه بقية الصفات السلبية.

أولًا: صفة القِدَم

تعريفها: القدم في حق الله تعالى معناه الأزلية، أي أن وجوده سبحانه غير مسبوق بعدم، فهو الأول بلا بداية. ولا يُراد بالقدم طول الزمان، لأن ذلك من صفات الحوادث، والله منزه عنها.

ضدها: الحدوث، وهو الوجود بعد العدم، ولا يجوز في حق الله تعالى.

الدليل العقلي على القِدَم:

لو لم يكن الله تعالى قديمًا، لكان حادثًا، ولا واسطة بين القدم والحدوث.

والحادث يحتاج إلى محدِث يوجده، وهذا المحدِث إن كان حادثًا أيضًا احتاج إلى محدِث، ويلزم من ذلك تسلسل المحدثات بلا أول، أو الدور، وكلاهما باطل عقلًا.

فوجب أن يكون الله تعالى قديمًا أزليًا، موجودًا بلا ابتداء.

الدليل النقلي: قال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]

قال المفسرون: "الأول" أي الذي لا بداية لوجوده، فهو السابق لكل شيء في الوجود، وهذا عين معنى القدم.

المحاضرة الخامسة / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

صفة البقاء

تعريف البقاء: البقاء من الصفات السلبية، ومعناه: أن الله تعالى أزلي أبدي، لا يلحقه فناء ولا عدم، بل هو موجود دائمًا بلا نهاية، كما هو موجود بلا بداية.

فهو سبحانه باقٍ لا يعتريه الزوال، لأن الفناء من خصائص الحوادث، والله تعالى منزّه عن مشابهتها.

• وضده: الفناء، وهو زوال الوجود بعد تحققه، وهذا محال في حق الله تعالى.

الدليل العقلي على البقاء:

أقام العلماء عدة براهين عقلية على بقاء الله تعالى، منها:

.1 البرهان الأول: لو لم يكن الله تعالى باقيًا، لكان فانياً، وكل فَانٍ حادث، وكل حادث يحتاج إلى مُحدِث، فإن احتاج إلى مُحدِث، لزم التسلسل أو الدور، وكلاهما محال فثبت أن الله تعالى باقٍ غير فانٍ.

.2 البرهان الثاني: لو جاز على الله تعالى العدم، لاستحال ثبوت القِدَم له، لأن من يقبل العدم لا يكون أزليًّا. ولكن ثبت في الدليل السابق أن الله قديم، فاستحال عليه العدم، ووجب له البقاء.

.3 البرهان الثالث: لو كان يجوز عليه العدم، فلا بد أن يكون له سبب.

وهذا السبب إما:

• أن يكون من ذاته: بأن يعدم نفسه، وهذا باطل، لأن الله هو الذي أوجد الموجودات، ولا يُعقل أن يُعدِم نفسه وهو علة الوجود.

• أو أن يكون له مُعدِم خارجي، فإن كان هذا المعدِم قديمًا لزم أن يكون أقوى من الله تعالى فيزيله، وهو محال؛ لأن الله واجب الوجود.

وإن كان حادثًا فلا يُتصور أن يزيل وجود القديم، لأن الحادث لا يُؤثر في القديم.

فثبت من ذلك أن العدم محال على الله تعالى، وأنه واجب البقاء.

الدليل النقلي على البقاء:

.1 قول الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: ٣[

ومعنى "الآخِر": أنه باقٍ بعد فناء كل شيء.

2. قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

أي: كل شيء فانٍ وزائل إلا الله عز وجل، فهو الباقي أبدًا.

3. قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦–٢٧) وهذه الآية من أوضح ما يدل على بقاء الله تعالى بعد فناء العالم بأسره

المحاضرة العاشرة / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

النبوة ومهمتها

أولًا: معنى النبي والرسول في اللغة

1/ النبي (مهموزًا وغير مهموز)

جاءت لفظة ‘‘النبي’’ في اللغة العربية على وجهين:

- بهمز (النَّبِيء)

وتُشتق من أحد معنيين:

- من النَّبَأ، أي: الخبر، فالنبيء هو المُخبر عن الله تعالى بوحيه وأمره.
- أو من النَّبِيء بمعنى الطريق الواضح، باعتبار أن الأنبياء هم السبيل الهادي إلى الله تعالى.
- بغير همز (النَّبِي):

وقد وردت كذلك في الاستعمال القرآني والعربي، ويُحتمل أن تكون:

- مخففة الهمز لكثرة الاستعمال.
- أو مشتقة من النَّبْوَة أو النَّبَاوَة، أي: الرفعة والعلو، لأن النبي مرفوع القدر والمقام بين الخلق.

2/ الرسول:

لفظة ‘‘الرسول’’ مأخوذة من:

- قولهم: ‘‘جاءت الإبل رسلاً’’ أي متتابعة، والرسول هو الذي يأتي بالرسائل متتابعًا من مرسله.
- كما يُقال: ‘‘رسل اللبن’’ إذا تتابع درّه، فيُشبه بتتابع الوحي إلى الرسول.

ثانيًا: تعريف النبي والرسول في الاصطلاح

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢[

وقد استدل العلماء بهذه الآية في التفريق بين النبي والرسول، وبيان معناهما، على أقوالٍ عدة، أشهرها:

القول الأول قول الجمهور:

- النبي: إنسانٌ يوحى إليه بشرعٍ، سواء أُمِر بتبليغه أم لا.
- الرسول: نبيٌّ أُمر بتبليغ ما أوحي إليه.

وعليه، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا. وهذا القول هو المشهور، وبه قال جمهور العلماء، وعامة الأشاعرة، وصوّبه المَهْدَوي والقاضي عياض في الشفا، حيث قال:

"والصحيح الذي عليه الجمّ الغفير أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا."

القول الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، فكلاهما إنسان أوحى الله إليه، وأمره بالتبليغ. ونُسب هذا القول إلى طائفة من المتكلمين، وذكره ابن الهمام عن بعضهم.

الرد على هذا القول:

- أولًا: قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢[

يفيد التغاير بينهما، لأن العطف يقتضي المغايرة، ولو كانا متساويين لما صح العطف.

- ثانيًا: حديث أبي ذر – رضي الله عنه – في ذكر عدد الأنبياء والرسل، حيث ميّز بين عدد الأنبياء وعدد الرسل، مما يدل على اختلاف المقامين.

وهي أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة، تصديقًا له، بحيث يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ويكون سالمًا من المعارضة

فوائد إصابة الأنبياء بالأعراض البشرية

ثبت أن الأنبياء عليهم السلام بشر كسائر الناس، يطرأ عليهم ما يطرأ على غيرهم من الابتلاء، والمرض، والنسيان، والفقر، ونحو ذلك، إلا أن لهذه الأعراض – التي تصيبهم – حكمًا عظيمة وفوائد جليلة، منها:

1/ تعظيم الأجر والمثوبة: فالبلاء الذي ينزل بالأنبياء يُعلي درجاتهم ويزيد في أجورهم، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ:

"أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل"

أخرجه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجة عن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢/١).

وقال الإمام القشيري: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، فالبلاء للأولياء، وأما غيرهم فيُترك لهم سبيلهم دون تكليف.

2/ التشريع والتعليم: فما يقع من سهو أو نسيان من النبي ﷺ يكون تشريعًا للأمة، كما في سجود السهو، إذ أظهر النبي ﷺ الفعل أمام الصحابة، فكان تعليمًا عمليًا؛ لأن الفعل أبلغ في البيان من القول المجرد.

3/ تسلية الناس عند نزول الشدائد بهم: عندما يتأمل المؤمن ما أصاب الأنبياء من المحن، كالفقر، أو المرض، أو أذى الناس، وهو يعلم أنهم خير خلق الله، فإن ذلك يعينه على الصبر، ويخفف من حزنه، فيتسلى ويتعزى بحالهم.

4/ بيان حقارة الدنيا وقلّة قدرها عند الله: فلو كانت الدنيا ذات شأن عند الله، لما صرفها عن أحب خلقه، وهم الأنبياء، ولما ابتلاهم فيها بالفقر والشدائد. وما ورد من ذمٍّ للدنيا، كقوله ﷺ:

"ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالِمًا أو متعلِّمًا"

أخرجه الترمذي في الزهد – باب الدنيا ملعونة... (٨٠٩/٧)

فهذا الذم موجه إلى الدنيا التي تشغل عن الله، أما ما لا يقطع العبد عن ذكر ربه، فلا ذم فيها، بل قد تكون وسيلة خير، كما قال ﷺ:

"نِعم المال الصالح للرجل الصالح"

وورد: "نِعْمَ الدنيا مطيّة المؤمن، بها يصل إلى الخير، وبها ينجو من الشر"

المحاضرة التاسعة / علم الكلام ـ المرحلة الثانية ـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

صفة الكلام

التعريف:

الكلام: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى، تَدلُّ على جميع المعلومات، ويعبّر بها عن الأوامر والنواهي والإخبارات. وضدها: البكم، وهو آفة ونقص.

أولاً: الأدلة العقلية على ثبوت صفة الكلام:

لو لم يكن الله متكلِّمًا، لكان متصفًا بالبكم، وهو نقص، والنقص لا يليق بالمخلوق فكيف بالخالق؟ فثبت أنه متكلم، والكلام صفة كمال يجب إثباتها لله تعالى.

ثانيًا: الأدلة النقلية:

- قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤.]
- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١.]

ثالثًا: مذاهب العلماء في صفة الكلام

1/ مذهب أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية)

يرى أهل السنة أن كلام الله تعالى نوعان:

أ. الكلام النفسي:

- هو كلام حقيقي، أزلي، قائم بذات الله، ليس من جنس الحروف والأصوات.
- يُعبر عنه بالألفاظ بحسب اختلاف اللغات والأقوام، وقد يُعبر عنه أيضًا بالكتابة أو الإشارة.
- يخالف العلم والإرادة؛ لأن المتكلم قد يتكلم بما لا يعلمه أو بما لا يريده.
- لا يتصف بالسكوت أو العجز، وهو صفة كمال لله عز وجل.

قال الأخطل:

إنّ الكلامَ لفي الفؤاد وإنّما جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلاً

واستدلوا عليه من القرآن بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨.[

ب. الكلام اللفظي:

- هو ما يتلفظ به من حروف وأصوات، وهو حادث غير قائم بذات الله.

- يشمل الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والقرآن، ويُطلق عليه "كلام الله" لأنه معبِّر عن الكلام النفسي.

- هذا النوع مخلوق، ولكنه لا يُقال "القرآن مخلوق" بإطلاق، إلا في مقام التعليم، لأن ذلك قد يُوهم أن كلام الله النفسي مخلوق، وهو باطل.

وقد جرى امتحان الإمام أحمد بن حنبل وغيره على هذه المسألة، حيث أُمروا بالقول بأن القرآن مخلوق، فرفضوا ذلك.

2/ مذهب المعتزلة والشيعة الإمامية:

- قالوا: إن كلام الله حروف وأصوات يخلقها الله في غيره (كجبريل أو اللوح المحفوظ أو النبي).

- الكلام عندهم حادث مخلوق، وليس صفة قائمة بالله.

- أنكروا الكلام النفسي، واعتبروا أن ما يُسمّى "كلامًا نفسيًا" هو في حقيقته مندرج تحت صفة العلم إن كان خبرًا، أو صفة الإرادة إن كان أمرًا أو نهيًا.

ردّ أهل السنة عليهم:

- وافقوهم على أن الألفاظ والأصوات حادثة مخلوقة، لكنهم أثبتوا وجود كلام نفسي أزلي غير مخلوق.

- قالوا: لو لم يكن لله كلام نفسي لما جاز أن يُسمى "متكلِّمًا"، ولكان الكلام حادثًا في ذاته، والحوادث لا تقوم بذات الله.

الخلاصة: أهل السنة والجماعة يثبتون لله صفة الكلام، وأنه متكلِّم بكلام نفسي أزلي، يُعبر عنه بحروف وأصوات مخلوقة. وأما القول بأن القرآن مخلوق بإطلاق، فهو قول باطل، مخالف لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع الصحابة

المحاضرة الثامنة / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

صفة الإرادة

الإرادة صفة أزلية لله تعالى، تختص بتخصيص الممكن ببعض ما يجوز له من الوجود أو العدم، وفي مقدار ووقت ومكان وجهة معينة. وضدها: الإكراه، الذي يعني فرض الأمر بالقوة دون اختيار.

الأدلة العقلية على إثبات الإرادة لله تعالى:

- الله تعالى صانع العالم بالاختيار، ومن كان كذلك يجب أن يتصف بالإرادة، فالله تعالى متصف بها.
- لو لم يكن الله مريدًا، لكان مكرهاً، والإكراه في حقه تعالى نقص، وهذا محال، فثبتت إرادته.
- لو كان الله مكرهاً لما اتصف بالقدرة، لأن القدرة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالإرادة، فلا تتحقق القدرة إلا مع الإرادة.

الأدلة النقلية:

قال تعالى:

- ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦.]
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥.]
- ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢.]

فوائد وملاحظات حول الإرادة:

١. المشيئة والإرادة: يُعبّر البعض عن الإرادة أحيانًا بالمشيئة، وهي في جوهرها صفة متعلقة بالممكن فقط، كما هو الحال مع القدرة.
٢. تعلق الإرادة: تعلق الإرادة قديم وتنجيزي؛ فالله تعالى أزلاً أراد وقوع الحوادث في أوقات مخصوصة، كأن أراد أن يكون محمدٌ رسولًا.
٣. الإرادة لا تعني الرضا: أوضح العلماء أهل السنة والجماعة أن إرادة الله للأمور لا تعني رضاه بها، فالله قد يرد وقوع الكفر من الكافر، لكنه لا يرضاه ولا يحبه.

بينما قد زعم القدرية والمعتزلة خلاف ذلك، قائلين إن الله يشاء الإيمان من الكافر، والكافر يشاء الكفر، مما يجعل مشيئة الكافر تغلب مشيئة الله، وهذا قول مردود لا دليل عليه.

٤. قصص وأمثلة توضيحية:

- روى عمرو بن الهيثم حوارًا بين قدري ومجوسي يظهرون فيه إشكالية الجمع بين مشيئة الله ومشيئة الشيطان.

- وقف أعرابي على حلقة علمية، ودعا الله أن يرجع ناقته المسروقة، فبين عمرو بن عبيد الفرق بين إرادة الله المطلقة وإرادة الأمور الحادثة في الواقع.

٥. الفرق بين المشيئة والإرادة والمحبة والرضا:

- الجبرية يقولون: كل شيء بقضاء الله وقدره، فيكون محبوبًا ومرضيًا لله.
- القدرية يقولون: المعاصي ليست محبوبة لله ولا مرضية، فلا هي مقدرة ولا مقضية.
- أهل السنة والجماعة يفرقون بين المشيئة والإرادة من جهة، والمحبة والرضا من جهة أخرى، ويستدلون على ذلك بآيات كثيرة منها:
- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ﴾ [الدهر: ٣٠.]
- ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَهْدِهِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩.]
- ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥.]
- بالمقابل على المحبة والرضا:
- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥.]
- ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]

المحاضرة السابعة / علم الكلام ـ المرحلة الثانيةـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

صفة القدرة الإلـهية

القدرة هي: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن أو إعدامه.

وضدها: العجز، وهو ممتنع في حق الله تعالى.

أولًا: الدليل العقلي على إثبات صفة القدرة لله تعالى

1. نفي العجز: لو لم يكن الله متصفًا بالقدرة، لكان عاجزًا، والعجز نقص، والنقص ممتنع في حق الإله الكامل.

2. إثبات الحوادث: وجود هذا الكون المنظم المتقن يدل عقلاً على وجود فاعل قادر محكم؛ لأن هذه المخلوقات المحكمة لا يمكن أن تصدر عن عاجز.

3. استحالة النقص: لو كان الله عاجزًا، لكان ناقصًا، وكل ناقص محتاج إلى من يُكمّله، ويلزم من ذلك الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل عقلاً.

4. صدور الحادث عن القديم: الله سبحانه قديم، ووجود الحوادث يدل على أنه فاعل مختار، ولا يتصور صدور الحادث عن القديم إلا إذا كان موصوفًا بالقدرة.

ثانيًا: الدليل النقلي على إثبات صفة القدرة

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩.[
- وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤.

فوائد متعلقة بصفة القدرة

1/ تعلق القدرة بالممكنات فقط

لا تتعلق القدرة إلا بالممكن، دون الواجب أو المستحيل؛ لأن:

- الواجب: كوجود الله تعالى، لا يقبل العدم، فلا تتعلّق به القدرة.
- المستحيل: كوجود شريك لله، لا يقبل الوجود، فلا تتعلق به القدرة.

مثال توضيحي:

سؤال مثل "هل يستطيع الله أن يخلق إلهًا مثله؟" ليس سؤالًا حقيقيًّا، بل تركيب لغوي لا معنى له؛ لأن الشريك المخلوق لا يكون واجب الوجود، بل حادثًا، ولا يُسمى إلهًا.

ومثله كمن يسأل: "هل يمكنك أن تكون حاضرًا وغائبًا في نفس اللحظة؟" فهذا ليس سؤالًا بل تركيب وهمي.

2 /تعلقات القدرة

لصفة القدرة تعلقان رئيسان:

- تعلّق صلوحي قديم: أي أن قدرة الله صالحة أزلًا لإيجاد وإعدام الممكنات متى شاء.
- تعلّق تنجيزي حادث: وهو تعلق القدرة عند إيجاد الله للمخلوقات في الوقت الذي شاءه.

3/ الفرق بين القدرة والإرادة

القدرة تُنفّذ ما تخصصه الإرادة، فإن أرادت الإرادة الإيجاد، جاءت القدرة فأخرجت الممكن من العدم إلى الوجود، وإن أرادت الإعدام، صرفته القدرة من الوجود إلى العدم.

4/الصفات التي تقتضي متعلقًا

- القدرة: تقتضي مقدورًا
- الإرادة: تقتضي مرادًا
- العلم: يقتضي معلومًا
- السمع والبصر: يقتضيان مسموعًا ومبصرًا
- الكلام: يقتضي مدلولًا
- أما الحياة: فهي صفة لا تقتضي متعلقًا، بل هي كمال للذات فقط

المحاضرة السادسة / علم الكلام ـ المرحلة الثانية ـ قسم الفقه واصوله

مدرس المادة: م. د محكمات عدنان وهاب

تأثير عقيدة التوحيد في حياة المسلم

تمثل عقيدة التوحيد الركن الأعظم في الإسلام، ولها آثار عميقة وشاملة في حياة الفرد والمجتمع، إذ تُحدث تحولًا جذريًا في نظرة الإنسان إلى الكون، وفي سلوكه، ومواقفه من الناس والأحداث. وتتجلى آثارها في مظاهر عدة، من أهمها:

1- الإيمان بأن للكون ربًّا مدبرًا: إن التوحيد يرسخ في النفس الإيمان بأن لهذا الكون خالقًا واحدًا، هو الله تعالى، يتولى أمره، ويحفظه بعنايته، ويكفل أرزاق من فيه. فلا شيء في الوجود يستقل بنفسه، بل الكل مفتقر إلى الله في كل لحظة. أما المشرك أو الملحد، فلا يقرّ بذلك، بل يرى الكون بلا توجيه إلهي أو يخضع لقوى متفرقة.

2- بناء العزة والكرامة:

الموحِّد يعلم أن الله وحده هو القوي، الضار، النافع، المحيي، المميت، فلا يخضع لمخلوق، ولا يذل نفسه لبشر، ولا يهاب سطوة أحد. أما المشرك والملحد، فقلوبهم متعلقة بالمخلوقين، يخشونهم ويتذللون لهم، ويظنون أنهم يملكون الضر والنفع.

3- يغرس التواضع: المؤمن لا يغتر بمالٍ أو مكانةٍ أو ذكاءٍ، بل يعترف بأنها نعمٌ من الله، وهِباتٌ من عنده، فيتواضع بها. بخلاف الملحد، فإنه ينسب الفضل إلى نفسه، فيزهو ويتكبر، ويزدري غيره.

4- تصحيح مفهوم النجاة: المؤمن يعتقد أن النجاة والفلاح لا تنال إلا بتزكية النفس، والعمل الصالح، والتقوى والبر. أما المشرك، فيُعلّق نجاته على أمور باطلة، ككفّارة ابن الله – بزعمهم – أو شفاعة الصالحين، أو القرابين والذبائح.

في حين يرى الملحد أن الحياة بلا حساب، ويجعل من شهواته معبودًا له، فلا يضبط سلوكه بقيم أخلاقية.

5- الطمأنينة والثبات في الشدائد: المؤمن يستمد من توحيده سكينة وطمأنينة، فلا ييأس مهما اشتدت به الخطوب، ولا يستسلم للإهانة أو الألم، لأنه يعلم أن الله معه. أما المشرك والملحد، فتضعف قلوبهم أمام الابتلاء، وقد يبلغ بهم اليأس إلى الانتحار – والعياذ بالله.

6- التوكل والإقدام في أداء الواجب: المؤمن يتوكل على الله ويستمد من توحيده عزمًا وصبرًا وثباتًا، لا يسعى إلا لإرضاء ربه، خاصة إذا تولى مسؤولية عامة، فيقيم العدل دون خوف من أحد. أما غيره، فليس لديه دافع إيماني ولا سند غيبي، فيفتر عزمه وتقلّ همته.

7- الشجاعة والجرأة: ينبعث الإقدام من قلب المؤمن، لأنه يعلم أن الله وحده هو مالك النفس والرزق والأجل، وأن الموت لا يقع إلا في وقته المحدد. فلا يخاف عدواً ولا سيفاً، بينما المشرك والملحد يعيش في رعب دائم من الفقد والموت، فيجبن عند الشدائد.

8- تزكية النفس وتطهير القلب: يرفع التوحيد من مقام الإنسان، فيُكسبه القناعة، والعفة، والاستغناء عن الخلق، ويطهّر قلبه من الطمع والدناءة والصفات الذميمة. فالرزق بيد الله، لا بيد العباد، فيسمو بنفسه عن السعي الدنيء، ويتحرر من عبودية الشهوات والناس